زهرة لبيوض

سِـرّ المصبَاح السحري

من حكايات علاء الدّين والسِّـنْدباد البحري

المثقف
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى 1445 هـ - 2023 م

(ISBN) : 978-9947-79-602- 3

الإيداع القانوني: 2023/10

اسم العمــل: سِرّ المصبَاح السحري

اسم المؤلــف (ة): زهرة لبيوض

إخـــراج: أحمد منصوري

المديـر العـام / سميـرة منصـوري

الناشر/ دار المثقف للنشر الجزائر

صفحة الدار على موقع فيسبــوك:

/https://www.facebook.com/elmothakaf

الموقع الإلكتـرونـــي: www.elmmothakef.com

هاتـف / فاكس 033 80 47 79

واتساب/0696 59 04 68

مقر الدار: Rue Ben flis- impasse kalenge- batna

المثقف للنشر والتوزيع

جميع حقوق النشـر الورقي والإلكتـروني والـمرئي والـمسموع محفوظة للـمؤلف وغيـر مسـموح بتـداول هـذا الكتاب بالقـص أوالنسـخ أوالتعديل إلا بإذن مـن الناشـر.

©

إِهـــداء

إِلى من كان لها أكبر الفضل في حبي للقراءة وعشقي لعالم الحكايات،

إِلى أمي الحبيبة..

تَصارِيف القدر

بَعْد مَوْت السُّلْطان قَرَّر عَلَاء الدِّين وزوْجَته الأميرة اَلْعَودة إِلى قَصْر اَلحُكم حِفاظًا على النِّظَام والأمَان، فحكمَا البلَاد بِالْعَدْل بَيْن العبَاد وَسَاد السَّلَام والْوئام، وَفِي يَوْم كَبَقيَّة الأيَّام دخل على عَلَاء الدِّين حاجبه قائلا إِنَّ فتًى غريبًا يَطلُب مُقابلته..

اِمتثَل الفتى أَمَام عَلَاء الدِّين وَقَال بَعْد التحِيَّة والسَّلام: أنَا البحَار سِنْدبَاد، وقد جِئْتُ إِلَيك مِن مَدِينَة بَغْداد اَلتِي أَلمَّت بِهَا أَثْنَاء غِيابيٍّ عَنهَا لَعنَة مَجهُولة المصْدر والْأسْباب، حَولَت كِبارَهَا ومنْهم أُمِّي إِلى حِجارة ولم تَترُك فِيهَا غَيْر صِغَار السِّنِّ مِن بَنَات وأوْلَاد، وَلمَّا رَجعْت مِن رِحْلتي وعلمتْ بِمَا كان بَحثتُ وتقصَّيْتُ وسألْتُ العارفين مِن بَاقِي البلَاد، أخْبرونِي أنَّ الإحاطة عِلْمًا بِمَا ألمَّ بِمدينتي ورفْع مصَابهَا قد يَكُون عِنْد نَاطُور الجبَال الموْجود بِالْمدائن؛ مَا عدَا شيْئًا واحدًا وَهُو لُغْز اِختِفاء الفتى اَلصغِير حسن!

قال عَلَاء الدِّين: إِنَّ قِصَّتك لعجيبة.. لَكِن مَا اَلذِي حَملَك إِلَيْنَا؟

أَجَاب: المصْباح اَلسحْرِي، عَلمَت مِن أُولئك الحكماء أَنَّى اِحْتَاج إِلى حجر الفلاسفة مِن أَجْل إِيقَاظ النَّاطور.. فَلمَّا سَألَت عن كَيفِية اَلحُصول عليْه قَالُوا إِنَّ المصْباح اَلسحْرِي سيرشدني؛ وهكذَا قَادَنِي بَحثِي عن المصْباح إِليك.

فَقَال: حاجتك مَقضِية بِإذْن اَللَّه، تَعَال مَعِي.

ثُـمَّ اِقْتـاده عَـلَاء الدِّيـن إِلـى بَهْـو القصْـر حَيْـث كان يُخبِّـئ المصْبـاح مِـن حَـذِر، وَإِذ بِـه يَفـزَع لهَـوْل المنْظـر! صَـارَت وَصِيفَـة الأميـرة تِمْثـالا مِـن حجـر.. بَحْـث عـن زَوجَتِـه الأميـرة فلـم يَجِـد لَهَـا أثـرًا، جـال فِـي الجـوَار مَفجُوعـا مُحَاطـا بِالتَّماثيـل الَّذيـن كَانُـوا مِـن قَبْـل بشـرا، كمَـا سـأل مِـن نَجَّـى مِـن اَلجُنـد والْخَـدم إِذَا مَـا رَآهَـا أَحدُهـم أو سُـمِع عَنهَـا خبـرًا. عـاد إِلـى البهْـو لِتفقُّـد المصْبـاح وَكَان الأمْـر كمَـا ظهـر لَـه وَلَاح، لَقـد اِختفَـى مـع اِختِفـاء الأميـرة وإِنَّـه لَأمْـر يَدعُـو إِلـى الحيْـرة! فَبحَـث عـن أَيَّـة إِشـارة تُوحـي بِسَـبب مَـا حصـل فِـي المـكَان، لَكِـن لَا أثـر لِشَـيء مَـا عـدَا عُصْفُـورة مَصرُوعـة بِأَحـد الأرْكان، وَقَـال: يَـا مِسْـكينة هـل أَنْـت طَيْـر مِـن طُيُـور يَاسـمِين؟

ثُـمَّ اِلتفَـت إِلـى السِّـنْدباد مُخاطِبًـا: يَبـدُو أنَّ اللَّعْنـة اَلتِـي تَكلَّمْـت عَنهَـا قـد لَحقَـت بِـك إِلـى هُنَـا!

فَقَال السِّنْدباد: والْأميرة قد اِختفَت كمَا اِختفَى صَديقِي حسن.

عِنْدهَا عِلْمًا مِن نفْسيْهمَا أنَّ مِن تَصارِيف القدر اِجتِماع دربيهما.

أَوَّل وجهَة

أفاقتْ العصْفورة فَظهَر أَنهَا عُصْفُورة تَتَكلَّم! لَكِنهَا لَا تَذكُر كَيْف وَمِن أَيْن جَاءَت ولَا حَتَّى لِماذَا تَتَألَّم، وَصَار لِزامًا أن تَكُون رفيقَهم الثَّالث؛ فَلَربمَا لَهَا اِرتِباط بِهَذه الحوادث، وأطْلق عليْهَا عَلَاء الدِّين اِسْم محْبوبته يَاسمِين.

ثُمَّ اِقترَح اِسْتشارة أحد العلماء عَلَّه يُغْنيهم عن كثير مِن الحيْرة والعناء، فأخْبرهم عن حَادِثة مُشَابهَة حَصلَت فِي شَمَال أفْريقيا مُنْذ غَابِر الزَّمَان فِي مَكَان يُدعَى المسْك والطِّين، يُقَال إِنَّه نَبْع ماء سَاخِن يُدَاوِي اَلعلِيل، وعدا ذَلِك فَهُو لَا يَعلَم عن الأمْر الشَّيْء اَلكثِير. وكانتْ هَذِه أَوَّل وجهَة يشدُّون نحْوهَا رَحَّال السَّفر..

قال عَلَاء الدِّين: يُهيِّئ لِي أنَّ شيْئًا مِن السِّحْر والشَّعْوذة يَقِف وَرَاء هَذِه الأَلْغاز.

ردّ السِّنْدباد: وَأَنَا أيْضًا خَمّنت ذَلِك، لَكِن يَبقَى الأمْر مُبْهمًا وأتمَنَّى أنَّ زِيارة نَبْع المسْك والطِّين هذه سَتكُون ذات فَائِدة.

وبعْد مَا يَفُوق اليوْم واللَّيْلة مِن الطَّوَاف بِالبساط الطَّائر فَوق الأمْصار وَصلُوا إِلى اَلوُجهة اَلتِي قذفتْهم نحْوهَا الأقْدار، كان يَحُفّهَا السُّكون، وَبهَا جبل كِلْسِي تَتَفجَّر مِياهه الحارَّة بِشلَّالات وَعيُون، وَفِي كُلِّ جَانِب مِنْه صُخُور أَشبَه فِي تكْوينهَا بِالْبَشر ولَا يَدرِي أحد سِرَّها المكْنون.

ثُمَّ فاجأَهم وُجُود عَجُوز هَرمَة تَرمُقهم بِنظرَات وَاجِمة، قَالَت لَهُم: تَلوَّت أمْعائي ولم أَجِد مَا يَسُد مَخمصتي..

فمنحوهَا مَا يَسُد رَمقُها وَيروِي عَطشها، وسألوهَا عن سبب تواجدهَا فِي مَكَان كَهذَا لِوحْدِهَا، فقالتْ: أنَا هُنَا حَيْث أَنتَمي وَيجِب أنَّ أسألكم بدوري عن السّبب اَلذِي مِن أَجلِه أقلقتم رَاحَتِي وسكِينتي؛ لَكِن سأتغاضى عن ذَلِك وأكْرمكم لِقَاء سَخائِكم.

فَلفَت أنْظارهم وميض يَلمَع مِن مَكَان قريب، ثُمَّ اِلتفتوا مُجَددا نَحْو العجوز لِيجدوا أَنهَا اِختفَت بِشَكل عجيب! ومَا كان لَهُم إِلَّا الاقْتراب مُفتِّشِين عن سبب ذاك اَلوميض؛ فكانتْ مُجرَّد مِرْآة فِضِّية يَكسُوها التُّرَاب، فَقَام السِّنْدباد بِمسْحه عَنهَا وَهُو يَسأَل رفيقه عَلَاء الدِّين عَمَّن قد تَكُون مالكتهَا.

عِنْدهَا تَجلَّت لَه بِزجاج المرْآة صُورَة فَتَاة حَسْناء تُمشِّط شَعْرهَا ثُمَّ اِختفَت دُون تِبيان أَمرِها. وباتتْ اَلأُمور جَلِيَّة أَنّهَا مِرْآة سِحْرِيَّة. حَاوَل السِّنْدباد إِعادة اِسْتخْدامهَا بُغيَة التَّأَكُّد مِن ماهيَّتهَا فَقَال: مَا هُو سبب تَحوُّل أَهْل هَذِه المدينة إِلى حِجارة؟ عِنْدهَا تَجلَّى اَلْجَواب، قَصْر اَلكُل فِيه مُنْشَغِل، ورداء الفرح علَيْه مُنْسَدِل، وَعلَى حِين غِرَّة يَسُود الرُّعْب وبعْده السُّكون، لَقد تحجَّروا بِفعْل سِحْر مَلعُون. وَتوقفَت المرْآة عِنْد ذَلِك، فَقَال عَلَاء الدِّين: أَهذَا كُلِّ شَيْء؟

فقط نُور غريب حوَّل أَهْل المدينة إِلى تَماثِيل حَجَريَّة؟ هَذِه المرْأة عَدِيمَة الفائدة لَم تمْنحْنَا غَيْر إِجابة نَاقِصة!

فحاول السِّنْدبَاد مَرَّة أُخرَى: مَا الشَّيْء الذِي حوَّلهم إِلى حِجارة؟ لَكِن مَا مِن جَوَاب، ثُمَّ سَأَلوهَا عن حَقِيقَة العصْفورة التِي وَجَدوهَا فظهرتْ لَهُم صُورَة الأميرة يَاسمِين تَجلِس فِي الحديقة مع وصيفتهَا نادين! مِمَّا زاد اِسْتهْجانهم.

هَذِه المرآة أجْوبتهَا مُختصرَة ومبْهَمة بِطريقة مُؤْسِفة، لَا أَعتَقد أَنهَا سترْشدنَا إِلى مَكَان حجر الفلاسفة. وَقبل اِنتِهاء عَلَاء الدِّين مِن كَلامِه تَجلَّت فِي المرْآة صُورَة جبل تبعثْهَا كَلمَة قَارُون!

قَارُون؟ مَا المقْصود بِهَذا؟!

أجابه السِّنْدباد: لَعلَّ المقْصود هُو جبل قَارُون الموْجود بِأَقْصى الغرْب، علَيْنَا التَّوَجُّه نحْوه.

وَبذَلِك حَدّدُوا وجْهتهم الجديدة، آملين أن تَكُون رِحْلتهم مُفيدَة.

جبل قَارُون

مـع اِنبِـلاج فَجْـر يَـوْم جديـد، كان الرُّفقـاء الثَّلاثـة فِـي طَريقِهـم إِلـى جبـل قَـارُون، تَقُـول الأسْـطورة إِنَّ هـذَا الجبـل بِـه مَغـارَة تَحـوِي كُنُـوز الأرْض اَلتِـي تَرَاكمَـت عَبْـر اَلقُـرون، وَكمَـا أَرشَـدت المـرْآة يُوجَـد فِيـه حجـر الفلاسـفة مَخزُونـا أو مَدفُونـا.

لَكِـن عِنْـد وُصولِهـم مـع اَلعشِـية، صادفـوا مـاردًا عِمْلاقًـا يَسُـد بـاب المغـارة لِيبْقيهَـا مَحمِيـة وَهُـو نَائِـم مُرْتكِـزًا علـى عَصَـاه الخشـبيَّة.

قـال عَـلَاء الدِّيـن: نَحْتـاج وَسِـيلَة تَشـتِيت اِنتِبـاه لِإبْعـاده عـن بـاب المغـارة، وأرْدف سِّـنْدباد قائـلا: لَا أرى أَفضَـل مِـن هَـذِه العصْفـورة النَّاطقـة كَوَسـيلَة؛ فصرخـتْ العصْفـورة عِنْـد سَـمَاع ذَلِـك: لَـن أَكُـون الطَّعْـم اَلْخـاص بِكمَـا، مـن يُريـد شـيْئًا يُخَاطِـر لِجلْبـه بِنفْسـه.

اُصْمُتـي وَإِلَّا تَمكَّـن المـارد مِـن سَـماعِنا، ردَّ علَيْهَـا عَـلَاء الدِّيـن مُخاطِبًـا، أَنْـت عُصْفُـورة وتجيديـن الطَّيـران يَعنِـي سَـيعجِز عـن اَلوُصـول إِلَيـك، أم أَنَّـك لَا تَرغبِيـن فِـي اِسْـترْجاع ذاكرَتـك وَمعرِفـة ماهيَّتـك؟

وَفِـي اَلأخِيـر وافقـتْ العصْفـورة علـى ذَلِـك وَحَاولَـت إلهـاء المـارد بِشـطارة بيْنمَـا عَـلَاء الدِّيـن وَصاحِبـه يُحـاولان دُخُـول المغـارة، لَكِـن يَـا لِلْخسـارة يَبـدُو أَنَّـه يَستحِيل فَتْـح اَلْبـاب دُون حِيلـة أو مَهـارَة.. وَتَنبَّـه

المـارد لِأمْرِهـم فِـي النِّهايـة، وأخْبرهـم أنَّ اَلْبـاب لَا يَفتَـح إِلَّا لِمـن يَحُـل لُغْـز الحكايـة.

قَالُـوا: أَيَّـة حِكايـة؟ قـال: حِكايـة فَـلَّاح زَاهِـد طَيِّـب راض بالحـال، لَـم يُـرزَق مِـن الأوْلاد غَيْـر بِنْـت وَاحِـدة ذات أدب وجمـال، فَتَـاق قَلبِـه لِوَلـد يَكُـون لَـه عوْنًـا فِـي عَملِـه، وَسـأَل اَللَّه كُلَّ لَيلَـة بِصَـوت مُتَألِّـم حزيـن أن يَرزُقـه مَـا يتمنَّـاه. ومـرَّ عـامٌ واثْنَـان، وَوقَـع الفـلَّاح فَرِيسَـة اليَـأس والأحـزان، حَتَّـى أَقبَـل عليْـه فِـي يَـوْم مِـن الأيَّـام شَـيْخ طَاعِـن فِـي السِّـنِّ، رثّ المظْهـر والْحَـال طالبًـا شـيْئًا مِـن زاد يُعَينـه علـى إِكمَـال التَّرْحـال. فَأَكرمَـه الفـلَّاح ثُـمَّ سَـأَلَه الشَّـيْخ عـن سـبب الهَـم والْحـزْن البـادي عليْـه، فَأَخبـرَه بِمَـا كان. . . عِنْدهَـا اِبتسَـم العجـوز اِبْتسـامة مُريبَـة وَعـرَض عليْـه صَفقَـة غَرِيبَـة!

عـرض عليْـه أن يُحقِّـق أُمْنيَتـه هـذَا اَلْعـام وبثلاثـة تَوائِـم تَحمـل اِمْرأَتـه، يكونـون سـببًا فِـي رَفْـع عِيلتـه، علـى شَـرْط وَاحِـد؛ أن يُزَوجَـه اِبنتَـه ثُـمَّ ينْسـاهَا وأن لَا يُذكَـر اِسـمهَا أَمَـام أحـد أيّـا كان جنسـه.

وَقبِـل الفـلَّاح عَـرْض الشَّـيْخ اَلغرِيـب وَمـرَّت الأعْـوام وَهُو بِمالـه وَولَدِه مَفتُـون، حَتَّـى بلـغ الكبـر مِنْـه مَا بلـغ فَسلَّم أوْلاده كُلَّ المسْـؤولِيَّة، فكانتْ تلـك أَكبَـر خَطِيَّـة، إِذ كان الولـد الأكْبـر مُعْجبًـا بِنفْسـه مَزهُـوا، وبعْثـر الأمْـوال علـى مَظهَـرِه ورفْقَتـه لَعبًـا ولهْـوًا؛ أُمَّـا اَلْأَوسـط فَكَان جشـعًا حريصًـا وَلـفّ علـى ثَـروَة أبيـه ولَهـف اَلْمـال واسْـتوْلى عليْـه؛ فَتَمكَّـن

الغضب مِن أَصغرِهم وأكْثرهم كِبَرا وتجبُّرًا فَوثَب على أخيه فقتله دُون رَويَّة أو تَدبُّر، ويَا وِيل الفلَّاح اَلمرِيض مِمَّا حصل. ضاع كُلُّ شَيْء فِي لَمَّح البصر وَعَاد كمَا كان فقيرًا مُعْدِما يَرجُو صَلَاح الذُّرِّيَّة وتبدُّل القدر، لَحَظتهَا تَذكُّر اِبنتِه الصَّالحة اَلتِي تَخلَّى عَنهَا وَوعَد ذَلِك الشَّيْخ الهرم أَسَاس هَذِه اَلبلِية، فَدعَا اَللَّه أن يجْمعه بِهَا عسى أن يَطلُب مِنهَا الصَّفْح فَتعُود البرَكة لِلْبيْتِ فقد كان وُجودهَا هِبة رَبانِيّة.

ثُمَّ سكتَ المارد عن الكلَام المباح، فطلبوا مِنْه أن يُكْمِل لَهُم بَقيَّة الحكاية، وتساءلوا عَمَّا حصل لِابْنة الفلَّاح.

فأجابهم المارد: هُنَا تَكمُن المعْضلة وأنْتم من يَجِب عَليهِم حَلهَا.

قال عَلَاء الدِّين: هذَا أَغرَب لُغْز أَسمَعه فِي حَياتِي.. نخمن نِهاية حِكاية!

أطرق السِّنْدباد بِرأْسه مُتأمِّلا ثُمَّ قال: لَقد مَاتَت.. نعم اِبْنته قد مَاتَت لِأَنَّهَا فِي الحقيقة عَملَه الصَّالح؛ إنّهَا إيمانه اَلذِي مات بعْدمَا قَبل التَّخَلِّي عَنْه مُقَابِل غَوايَة الشَّيْطان المتمثِّل فِي الشَّيْخ اَلغرِيب، فلم يَجِد مِن يَنتشِله مِن غَرقِه فِي فِتْنَة اَلْمال والْأَوْلاد الَّذين يَرمُزون إِلى العجب والْجَشع وَالكِبر..

وهكذَا فَهم السِّنْدباد أَصْل الحكاية، فَفتَح لَهُم باب المغارة فِي النِّهاية.

حارس اَلكُنوز

كَانَـت المغـارة مُعْتِمـة فأوْقـدوا السِّـرَاج، ثُـمَّ عَثـرُوا علـى كُـوَّة فِـي الجـدَار، جَـرَّب عَـلَاء الدِّيـن إنارتهَـا فَأَضـاءَت مَعهَـا سِلْسـلة مَصابِيـح مُتتابعـة.. وسـكتوا جميعـا مـن شِـدَّة الانْبهـار.. لَقد كان تَلألُـؤ الأنْـوار يَـكَاد يُعْمِـي الأبْصـار، وَعظَـم اَلكُنـوز يَسـلُب أَلبَـاب الشُّـطَّار..

ثُمَّ همُّوا بِالْبَحْث عن بُغْيتِهم، وحشْر شَيْء مِن اَلكُنوز فِي مِخْلاتهم.

وَفجْـأَة، اِنتشَـر دُخَّـان كثيـف! واهْتَـزَّتْ المغـارة علـى وَقْـع صَـوْت زَمجـرَة مُخيـفٍ.

مِن يَجرُؤ على العبث وإزْعَاج رَاحَة حَارِس اَلكُنوز؟!

أجابَـاه: نَحْـن لَـم نَـأْت لِلْعبـث أو الإزْعـاج.. وَإنمَـا نَبحَـث عـن حجـر الفلاسـفة اَلعجِيـب مِـن أَجْـل إنقَـاذ مَدِينَـة بَغْـداد!

عِنْدهَـا، تَجلَّـى لَهمَـا رَجُـل ضَخْـم اَلجُثـة، ذُو لِحْيَـة طَوِيلَـة سِبْطه شَـدِيدَة السَّـوَاد وعيْنَيْـنِ ضيِّقتَيْـنِ، رَأسُـه أَملَـس كالصَّفْـوان، ولـم يَكُـن يُظْهِـر سِـوى اَلجُـزء اَلعلْـوِي مِـن جَسـدِه وسـط كُلِّ ذَلِـك الدُّخَّـان.. وَقَـال: اَلجمِيـع يَدعِـي الطَّيِّبـة وَحُسـن النِّيَّـة لَكِـن وَقْـت اَلجِـد والامْتحـان يُظْهِـر مَـا وراءه مِـن شـرٍّ وَبَلِيَّـة، والْآن سـيتبَيَّن مِقـدَار مَـا لَديْكـم مِـن صِـدْق وَحُسـن طَويَّـة..

Mizou

وَفِـي لَمْـح البصـر تَغيَّـر المـكَان وَتَبدّلَـت الأرْكان، وَوجَـد السِّـنْدباد وَعَـلاء الدِّيـن نفْسـيْهمَا وَاقفِيـن علـى شـفَا جُـرُف عـالٍ، يَتَلاطَـم تَحتَـه مَـوْج كالْجبـال، وأمامهـم علـى مَسـافَة تُقَـارِب العشْـر أَقـدَام يَقبَـع فِـي اَلْهَـواء حجـر لَامِـع أَحمَـر كالـدَّم؛ فَقَـال لَهُـم الحـارس: هَـا هُـو مُرادكـم أمامَكـم، خُـذُوه قَبْـل اَلغُـروب إِنَّ اِسْـتطعْتم.

فَحَزَبَهـم الأمْـر وحـاروا كَيْـف يُمْكنهـم اَلحُصـول علـى شَـيْء عَالِـق بَيْـن السَّـمَاء والْبَحْـر، وظلُّـوا علـى حَالهِـم تِلْـك يَمُـر عَليهِـم الوقْـتُ فَجَـاء الظُّهْـر وَمِـن بَعـدِه العصْـر. حَتَّـى سـاء بِهـم اَلْحـال وظنُّـوا أنَّ اَلوُصـول إِلَيـه مُحَـال، وقـد اِقتـرَب وَقْـت اَلغُـروب وَبلَـغ بِهـم التَّفْكيـر حـدَّ اللَّغُـوب، فَقَـام السِّـنْدباد مِـن مَكانِـه وَقفَـز مِـن علـى الجـرْف غَيْـر آبـه، فاسْـتَقرَّ فِـي اَلْهَـواء والدَّهْشـة تنْتابـه، عِنْدهَـا تَجلَّـى اَلطرِيـق وأخَـذ يسـير عليْـه مُتأمِّـلا إِيَّـاه بِتدْقِيـق، إِلـى أن اِقتـرَب مِـن حجـر الفلاسـفة فمـدَّ يَـدُه والْتقطـه بِحركـة خَاطِفـة.. عِنْدهَـا أخْبرَهـم الحـارس أَنهُـم اِسْـتحقُّوا اَلحُصـول علـى الحجْـر اَلعجِيـب بِجـدارة، ثُـمَّ تَلاشَـى كُلُّ شَـيْء ووجـدوا أَنفُسـهم خَـارِج المغـارة.

وُحُوش الواحة

فِـي اَلطرِيـق إِلـى المدائـن نَفِـد مَـا عِنْدهـم مِـن مـاءٍ وَزَاد، فاضْطـرُّوا إِلـى النُّـزول بِأَقْـرب وَاحَـة فِـي البـلَاد وأَثْنَـاء اِسْـتراحتهم حِـذَاء اَلْمـاء سَـمعُوا صوْتًـا أَجشَـا يَسـتغِيث بِرجـاء، قَامُـوا بِتقصِّيـه فوجـدوا رَجُـلا هزيـلا مَربُوطـا بنَخلَـة بِالحبـال، وتبْـدو عليْـه أمـارَات اَلجُـوع والخبال.. فسـألَاه عـن سـبب حَالَـة تِلْـك، فَأَجـاب بِهيـاج شـديد أُهْرُبـوا إنّهَـا وَحْـش بـل وُحُـوش... رَبطتْنِـي بِالنَّخْلَـة إِلـى أن يَأتِـي مَوعِـد اِلتهامهَـا إِيَّـاي مِثلَمـا فَعلَـت بِغيْـري مِـن الرِّجَـال.

وَلمَّـا اِسْـتلَّ عَـلَاء الدِّيـن خِنْجـره وَقَـام بِفـكِّ أَسـرِه ثُـمَّ سـقيه؛ إِذ طَلعَـت عَليهِـم فَجـأَة اِمـرأَة حَسْـناء وَضَّاحـة اَلمُحيـا هَيْفـاء، وقالـتْ: هـل تعْرفـون الرَّجـل؟ عِنْدهَـا بـدأ اَلغرِيـب بِالصُّـراخ هلعًـا ثُـمَّ فـرَّ هاربًـا رَغْـم هُزَالِـه مُنْدفِعًـا.

فاسْـتغْربا ذَلِـك وتوجَّسـا مِـن حَالـة الحالـك.. ثُـمَّ اِلتفَتَـا إِلـى الحسْـناء: لَا نعْرفـه فنحْـن مُجـرَّد عَابـرِي سـبيل وَلكِـن إِغاثـة الملْهـوف مِـن أَخْلاقنَا، فهـل تعْرفينه؟

قَالَـت: أنَـا مِـن سُـكَّان هَـذِه المنْطقـة، وأقيـم قُـرْب الواحـة، ألـم تُفكِّـروا قَبْـل إِطـلَاق سَـرَاحة أَنَّـه رُبمَـا لِـصٌّ أو قَاطِـع طريـق؟

فـردَّ عليْهَـا عَـلَاء الدِّيـن بِـدوْره وَهُـو يَتَأمَّـل خِنْجـره: علـى حـدِّ عِلْمِـي اللُّصـوص وقطـاع الطُّـرق يُحاكمـون ثُـمَّ يُعاقبـون ولَا أَظُـن أنَّ التَّجْويـع والتَّعْذيـب عُقُوبَة.

قَالَـت: قَومِـي هُـم مَـن أمسـكوه متلبّسـا، وليْـس مِـن الكياسـة أن يَسـتَغِل طِيبتَكـم كُل غَريـب تُقابلونـه، لَكِـن لَا عَلَيكمَـا أنَـا مُتَأكدَة أَنهُم سيمْسـكونه مَـرَّة أُخرَى.

وتبادل عَلَاء الدِّين وسنْدباد نَظَرات الشَّكِّ والارْتياب.

ثُـمَّ أَوضَحـا أنَّ هـذَا أَمْـر لَا يُهمُّهمَـا لِأَنَّهمَـا علـى عَجلَـة مِـن أَمرِهمـا، فَقَاطعَـت حديثَهمـا مُبْدِيـة اللَّطافـة وَأَقسـمَت عَليهِمـا أن ينـالا وَاجِـب الضِّيافـة: لَيْـس مِـن عاداتنَـا أن يَرحَـل عَابِـر اَلسّـبِيل قَبْـل إِكْرامـه، لَا تقْلقـا مَنزلِـي علـى مَقرُبـة مِـن هُنَـا، اُنْظُـروا إنَّـه خَلَّـف تِلْـك النَّخـلات هُنَـاك، واسْـتدارتْ مُشـيرَة إِلَيهـا...

وَفِـي غَفلَـة مِنهَـا وَثـب عليْهَـا عَـلَاء الدِّيـن وَطَعنهَـا بِخنْجَـره، فَتَحوّلَـت إِلـى أَفعَـى ضَخمَـة تَلـوَّت عليْـه لِتبْلَعـه! لمَّـا باغتَهَـا سِـنْدبَاد وقطْـع رأْسـهَا بِسـيْفه، نطـق رأْسـهَا المقْطـوع مُتوعِّـدًا مِـن مَكانِـه: سـتكونون مَأدُبـة عشـيرَتيْ اللَّيْلـة.. وَقَـال عَـلَاء الدِّيـن: لِحسْـن اَلحَـظ أَنِّـي رأيْـتُ مَظْهَرهـا الحقيقـيُّ مُنْعكِسًـا علـى خِنْجـريْ..

ثُـمَّ اِنبعَـث صَـوْت فحيح قَـوِي مِـن كُلِّ اِتِّجـاه، فأسْـرعوا بِحَمـل أمْتعتهم وَركُـوب البسَـاط الطَّائـر بعْدمَـا بلـغ الرُّعْـب مَـدَاه؛ وهكـذَا رَحلُـوا مِـن هُنَـاك نَاظرِيـن إِلـى الأفاعـي وَهِـي تتوعَّدهـم بِالهـلاك.

نهاية الرحلة!

اِسْتأْنف المغامرون رِحْلتَهم، حَتَّى وَصلُوا إِلى مِنطَقة المدائن اَلتِي كَانَت مُنتَهَى وُجْهتِهم، وكانتْ عِبارة عن بُيُوت وَقصُور مَهجُورة مَنحُوتة فِي الصُّخور، فحاروا فِي أَيّهَا يُمْكِن أن يَتواجَد النَّاطور.. وهكذَا فَتّشُوا داخلهَا حَتَّى بَلغُوا آخرهَا، فوجدوا فِيهَا اِخْتلافًا عن سابقاتهَا، بِهَا زَخارِف وَحرُوف مَعْنَاها لَديهِم غَيْر مَعرُوف، وَأَخَذ عَلَاء الدِّين يتحسَّسهَا ويمْسح عَنهَا التُّرَاب.. وبالْخطأ، دك إِحْداهَا فَفتَح تَحْت قَدمِي سِنْدبَاد ممرُّ السِّرْداب، فَوقَع هذَا اَلأخِير فِيه صارخًا حَتَّى بلغ مُنتهَاه، ثم َطلَب مِن عَلَاء الدِّين والْعصْفورة أنَّ يتَّبعَاه؛ وَبعدَما أوْقدوا مَا فِيه مِن مَصابِيح ذُهلوا لِحجْمه اَلفسِيح، وأرْضه الممرْدة مِن ذهب رقيق وَسقفِه اَلمُزيّن بِالعقيق، وقد كَانَت كُلُّ تِلْك المساحة خَاوِية إِلَّا مِن عَرْش عظيم ومقاعد أَربَعة عَالِية، وَكَان يَجلِس على العرْش تِمثال حَجرِي كبير يَلبَس ثوْبًا مِن حرير، وَعلَى رَأسِه تاج ذَهبِي مُرصَّع بِأحْجَار اَلزفِير.. وعنْد الاقْتراب مِنْه ظهَر مَكَان قَلبِه فارغًا بِجلاء فظنُّوا أَنهَا بَوادِر نِهاية الابْتلاء، فَقَال سِنْدبَاد: فَهِمت الآن، حجر الفلاسفة هُو قَلْب نَاطُور الجبَال... وَلمَّا قام بِترْكِيب الحجر العجِيب تَبيَّن أَنَّه أَصغَر مِن المطْلوب! والْأَمْر أنَّ جُزْءًا مِنْه كان مَفقُودا، فمَا السبِيل إِلى جَمعِه مُجَدّدا؟

ثُـمَّ تذكَّـروا المـرْآة السِّـحْريَّة فسـألوهَا عـن مَـكَان تَواجُـد بَقيَّـة الحجـر، فأخْبرتْهـم مِـرارًا أَنَّـه فِـي المـرْآة السِّـحْريَّة؛ فاسْـتغْربوا مِـن جَوابِهـا اَلمُبهـم!

فَقَال عَلَاء الدِّين: لَقد قُلْتُها مِن قَبْل مِرْآة لَا فَائِدة ترجى مِنهَا.

وهكذَا تَعقدّت المسائل وتضاعفتْ المشاكل.

فَقَـال السِّـنْدباد: لنُسـلم أَمرنـا لِلْعلـيِّ اَلقدِيـر، إِنَّـه وَلِـي التَّدْبيـر، ومَـا دام المسَـاء قـد لَاح، لِنَمـض اللَّيْلـة بِالْقـرْب مِـن هُنَـا ثُـمَّ نَتَبيَّـن أَمرنـا بحُلُـول الصَّبَاح.

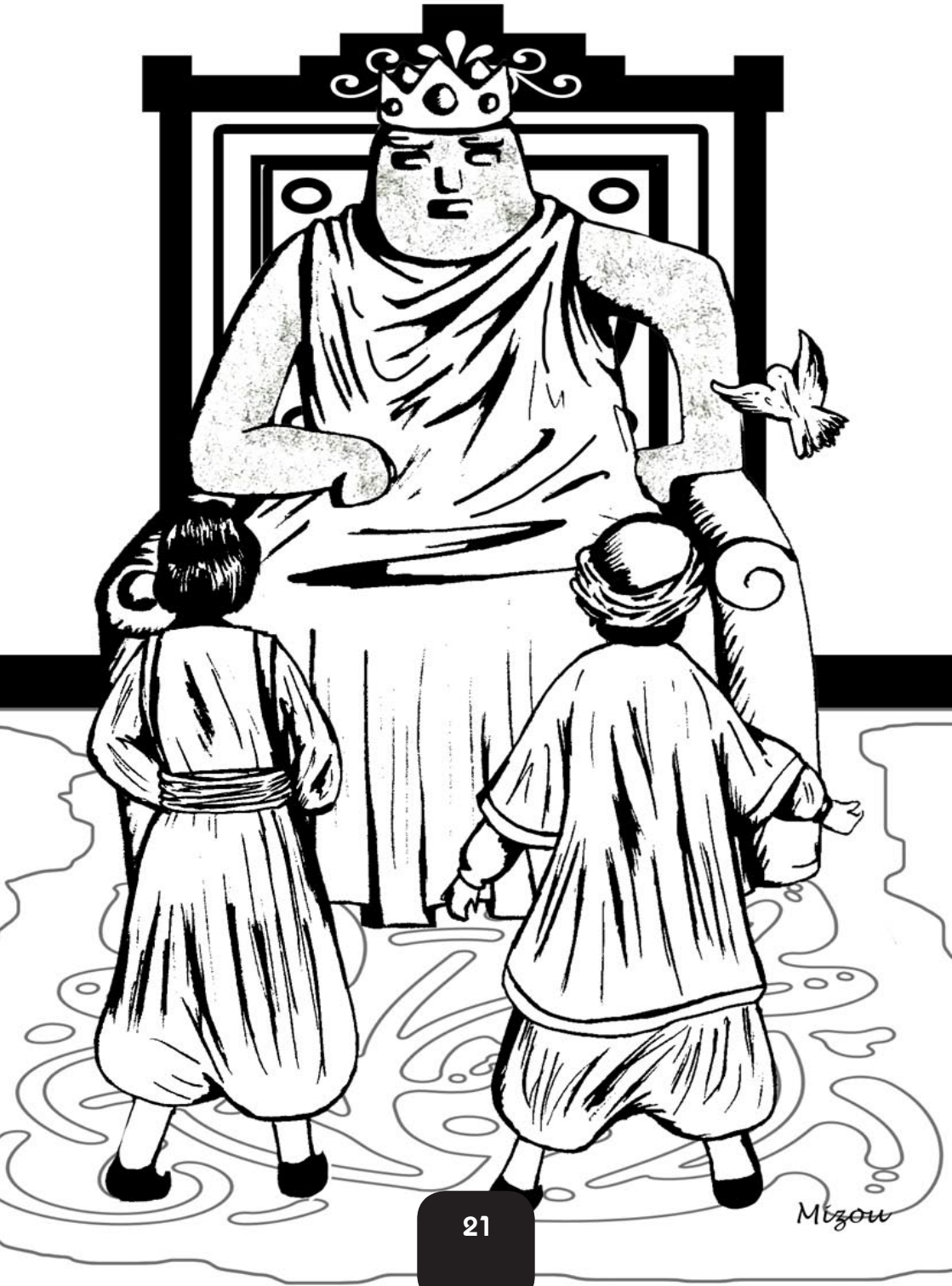
Mizou

شهاب؟!

بدَأَ سِتَار العتَمة يَنسَدِل على الكوْن، والنُّعاس يُدَاعِب اَلعُيون..

وَكَان التَّلَحُّف بِالنَّسيم اَلعلِيل والتَّدثُّر بِغطاء النُّجوم فِكْرَة دَافِئَة لِأيِّ قَلْب عليل..

حَتَّى بدتْ لَهُم نَجمَة وَكَأنّهَا تَتَحرَّك نحْوهم، والغريب أَنَّهَا ماتزَال تَقتَرِب مِنْهم، هل ترى مَا أَرَاه يَا عَلَاء الدِّين؟!

فلنبْتعد مِن هُنَا قَبْل أن يسْحقَنَا هذَا الشِّهَاب قال السِّنْدباد بِصَوت مُنْذَهِش مُرْتاب!

كَانَت هُنَاك أَنقَاض لِقَصر قديم بِالقرْب مِن هُنَاك، سارَعوا بِالاخْتباء دَاخلِها ظانِّين الهلَاك..

ذَلِك الشَّيْء يَقتَرِب أَكثَر وحقيقته تَنجَلِي والْغموض يَندَثِر. لَم يَكُن نجْمًا سابحًا فِي ظَلَام اللَّيْل وَإِنَّمَا طَائِر نَارِي بِحَجم الفيل، اِتَّجه مُبَاشرَة نَحْو الهدْم وهاجم.

-لَست أَفهَم لمّ يُهاجمنَا مُبَاشرَة؟!

قال عَلَاء الدِّين: قد نَكُون فِي عُشِّه ونحْن لَا نَدرِي فلنخْرج مِن هُنَا.

فقـال السِّـنْدباد: لَـو خرجْنَـا مِـن هُنَـا الآن نحْـن فِـي عِـدَاد الأمْـوات، يَجِـب التَخلَّـص مِنْـه قَبْـل أن يُمْسـكَنَا أو يَهـدِم المـكَان علـى رُؤوسِـنَا. علىْنَـا إِضـرَام النَّـار فِـي كُلِّ زَاوِيـة ثُـمَّ عِنْـد إِشـارَتي نَدفَـع الحائـط اَلغرْبِـي حَتَّـى نَسـتدْرِج الطَّائـر لِلدُّخـول، ثِـق بِـي يَـا عَـلَاء..

- فَهمَت خُطّتُك، لِنتحَرَّك..

وأَخـذَت أَلسِـنة اللَّهـب تَلتَهِـم الجـدْران فَـكَان تَهدِيـم الحائـط اَلغرْبِـي سـهْلا يسـيرًا مِثلَمـا كَانَـا يُخطِّطَـان، وَمِـن هُنَـاك قَامَـا بِاسْـتفْزاز الطَّائـر اَلـذِي وقـع فِـي المصْيـدة فانْهَـدم القصْـر وَهمَـا يَخرُجـان مِـن النَّافـذة، وعنْـد اِنسِـلال أُولَ خيـط لنُـور الفجْـر تَبيَّـن أنَّ الطَّائـر قـد اِختفَـى ولـم يَتبَـق مِنْـه أَثـر!

قَصْر مَسحُور

لَقد كان ظُهُور الطَّائر ثُمَّ اِخْتفائه أَمْر يُثير الرَّيْب، ومَا لَبثُوا أن لَمحُوا جمْعًا يَقتَرِب؛ خَمسَة رِجَال على جمالِهم يحْملون اَلكثِير مِن القرب، حَتَّى قابلوهم فألْقَوْا التحِيّة وبادروهم بِالخطاب: من أَنتُم وَفِيمَا قُعودكم ها هُنَا والْمكان خطر على البشر؟

- نَحْن عابروا سبيل، بِتْنَا لَيْلتنَا هُنَا مُرْغمِين وهَا نَحْن نَرتَحِل بعْدمَا زال الخطر الذِي لَم نَكُن نَعلَم بِه قَبْل البارحة؛ أجابَهم سِنْدبَاد.

فسأله أَحدُهم مُسْتغْربًا: مَاذَا تقْصدون بِزوال الخطر؟

قال السِّنْدباد: أَعنِي أنَّ الطَّائر النَّاريَّ الضَّخْم قد نفق واخْتَفى بعْدمَا تَهدّمَت علَيْه الأنْقاض.

وَتبادَل الرِّجَال الأغْراب نَظَرات الاسْتعجاب، ثُمَّ ترجَّلوا عن رواحلهم واقْتربوا مِنْهم: هل تَدرُون مَا كان ذاك الطَّائر؟ لَقد كان الكابوس الذِي قضَّ مَضاجِع أَهْل هَذِه الأنْحاء مُنْذ عُقُود، وقد ظَنَنَّا أَنَّه عاد لِإحْرَاق المنْطقة لمَّا سَمِعنَا صَوتُه اَلمُدوي فِي السَّمَاء لَيلَة البارحة، فَجِئنَا بِقرْب الماء اَلتِي تَرَونهَا حَتَّى نُخْمِد أيُّ لَهب مَا يَزَال مُتَّقدًا أو نُسْعِف كائنًا مُصَابا، وَإذ بِنَا نُصادفكم فتبشرونَنَا بِمَا قُلتُم. بالرغم من كوننَا نَخشَى عوْدته مُجَددا.

- ولـمَّ كُلُّ هـذَا التَّشـاؤم والْخَـوْف رَغْـم تأْكيدنَـا اِخْتفـاءه؟ تَسـاءَل عَـلَاء الدِّيـن باحثًـا عـن جَـوَاب مُبيـن.

قَالُـوا: اِرتحَـل أَهْـل هَـذِه القرْيـة إِلـى هُنَـا مُنْـذ أَربَعـة عُقُـود لمَّـا وَجـدُوا فِـي المكَان مـن آبـار مـاءٍ تُعينهـم علـى العيْـش الهَنِـي؛ فلبثـوا وزرعـوا الأَرْض حَتَّـى صَـارَت جنانًـا تَسـرّ النَّاظريـن وَتسُـد رمـق الجائعيـن، إِلـى أَنَّ حَلَّـت تِلْـك اللَّيْلـة المغْمومـة واسْـتيْقظ الأهالـي علـى وَقْـع صَوْت كالهزيـم؛ فخرجـوا لِاسْـتطْلاع الأَمْـر وَإِذ بِـه طَائِـر مِـن نـارٍ يَحـرُق المحاصيـل وَأَصبحَـت تِلْـك الجنَـان كالصريـم، ثُـمَّ قَامُـوا بِتقصِّـي أَمـرِه فوجـدوا أَنَّـه يَسـتَقِر عِنْـد بـاب قَصْـر؛ قَصْـر مَسـحُور يَظْهِـر كُلُّ عـام مَـرَّة ويبْقـى مَـا يَفُـوق النِّصْـف شَـهْر لِيخْتَفـي مِـن جديـد؛ وهكـذَا اِضْطرَّ قَومُنـا لِلاسْـتقْرار والزِّراعـة بعيـدًا عـن مُحيطِـه.

عِنْدهَا سألهم السِّنْدباد: ولم تُحاولوا أبدًا دُخُول القصْر؟

فَـكَان جوابهـم: بلـى كَانَـت هُنَـاك عِـدَّة مُحـاولات، لَكِنَّهَـا بَـاءَت بِالْفَشـل الذرِيـع بِسَـبب الطَّائـر النَّـاريِّ اَلـذِي يَحرُسـه.

فَقَـال عَـلَاء الدِّيـن: لَا أَعتَقـد أنَّ القصْـر المسْـحور مَحـرُوس الآن.. وَهـذِه فُرْصتنَـا لِاكْتشـاف سِـرِّه.

مِيزَان

اِقتـرَب السِّـنْدباد ورفْقَتـه مِـن القصْـر المسْـحور وَكَان مَعهُم أحـد رِجَـال القرْيـة الَّذيـن صادفوهـم بيْنمَـا آثـر اَلبقِيـة عـدم الاقْتـراب مِـن المحْظور، وقـد كَانَـت أَسـوَار القصْـر شَـاهِقة اَلعُلـو وحيطانـه نُحَـاس مَجلُـو، فاسْـتعْملوا البسَـاط لِتجـاوز السُّـور، وانْبهـروا بِمَـا يقـع وراءه مِـن جَمَـال القصْـر المسْـحور، كَأَنَّـه جَنَّـة لَا يَنقُصهـا إِلَّا الغلْمـان المخلَّـدون والْحـور. ثُـمَّ وَلجُـوا بِرويَّـة مُنْبهريـن بِحديقتـه البهِيـة، حَتَّـى بَلغُـوا مَقصُـورة مُغلَقَـة وأرْخَـوْا آذانَهـم لِدقيقـة، وخطَـف الغنَـاء المنْبعث مِنهَـا قُلوبهـم وَحـرَّك أشْـجانهم، إِلـى أنَّ تَوقُّـف الغنَـاء وسـكنتْ الأجْـواء، فاسْـتأْذنوا لِلدُّخـول باديًـا علـى أصْواتهـم اَلوَجِـل والذُّهـول.

وَلمَّـا أَذِن لَهُـم دَخلُـوا وبهتـوا لِمَـا عاينـوا، لَقـد وَقعَـت أَعيُنهـم علـى صِبْيَـة لَـم يـروْا لِجمالهَـا مثيـلا فِـي نِسَـاء البرِّيَّـة، فبادلتْهـم التحِيـة والتَّرْحيـب وقالـتْ بِفَـرح عجيـب: هـذَا وربِّـي مِـن بَـوادِر الفـرج، إِنَـا كَدنَـا نِسـتيئس مِـن تبـدُّل حالنَـا وقـد مَـرَّت علَيْنَـا السُّـنون ولـم يَدخُـل قَصرُنـا غريـب..

فسألوهَا عن الحكاية ومَا اَلذِي قلب حالهم مُنْذ البداية.

فَأَجابَـت كان فِـي زمـن مِـن الأزْمـان سُـلْطان ذُو سَـطوَة وهيْلمـان اِسْـمه وَهْـدان، تَـزوَّج أَمِيـرَة جَمِيلَـة مِـن مَمْلَكـة ساسـان، واكْتملـتْ فرْحتـه

بِـأنَّ أَنجَبـت لَـه طِفْلَيْـنِ تؤْأمَيْـنِ، فَحلـم ذات يَـوْم أنَّ أَحَدهمَـا يَقُـوم مِـن سَـريرِه وَيثِـب ضاربًـا بِسيْفه شـاطرًا المملكـة نِصْفَيْـنِ، فَفـزِع مِـن نَومِه وَهُـو وَلْهـان، واسْـتدْعى مُفَسّـرِي الأحْـلام مِـن كُلِّ مَـكَان، ولـم يَقُـص رُؤْيـاه علـى أحـد مِنْهـم إِلَّا وَأَخبـرَه أنَّ مَمْلَكتـه سَـيأتِي علَيْهَـا يَـوْم يَعلُـو بَعضُهـا فَـوْق بَعْـض وتنْقَسـم فِيـه شـطْرَيْنِ. فَعظُـم قَلقُـه علـى ولديْـه وظـنَّ أَنهُمـا لَا مَحالَـة علـى اَلمُلـك سيقْتتلان، ولـم يَجِـد بـدًا مِـن طلـب المشـورة مِـن الـوزراء وحكمَـاء وَحتَّـى اَلكُهـان؛ فَأَشـار علَيْـه وَاحِـد مِنْهـم أنَّ نَجَـاة مَمْلَكتـه لَا سـبيل إِلَيْهَـا غَيْـر الميـزان فَتعجِّـب السُّـلْطان واسْـتغْرب كَيْـف لِلنَّجَـاة أن تَكُـون فِـي الميـزان! فَأَخبـرَه الكاهـن أَنَّـه مِيـزَان لَيْـس كأيْ مِيـزَان، إنَّـه أُعجُوبَـة الزَّمَـان وعمـاد الأكْـوان وَبَقـاء لِلعـدْل والسُّـلْطان، وَأنَّـه مَحفُـوظ مِـن عبـث وَسـطْوَة الجـان، وَإِذَا وضـع فِـي أَمانَـة الإنْسـان فعلَيْـه أن يَصُونَـه مِـن التَّلاعـب وَالغِـشّ والنِّسْـيان. وهكـذَا كَبُـر التَّوْأمـان وسـلَّمهمَا أبوهمَـا الملـك والسُّـلْطان، فكانـتْ سـلْطنتهمَا مملكتيْـنِ وَلهُمـا قَصْـران مُتجـاوران، يتوسَّـطهمَا صَـرَّح مُخصَّـص لِلْميـزان، وقد سـاد فِـي عَهدهِما العـدْل والاسْـتقْرار والْأمان. إِلـى أنَّ أَنجَـب أكْبرهمَـا ولـدًا سَـمَّاه سَـلْمان وأنْجـب الأصْغـر بِنْتَـا سمَّاهَا بَـدْر الزَّمَـان، وقد تَعَاهـدَا أن يُزَوّجَـا بَـدْر الزَّمَـان بِسلْمَان.. ثُـمَّ مَـرَّت السُّـنون وَقـرب زِفَـاف العروسـيْنِ الشَّـابَّيْنِ ولـم يَتبَـق لَـه غَيْـر شَـهْر مِـن الزَّمَـان عِنْدهَـا تَوقفَـت اَلصبِيـة عـن الـكلَام وانْعَقد اللِّسَـان.

الوهم

وَأكملَت قَائِلة: وقد خَرجَت العروس مع وصيفاتهَا لِشراء شَيْء مِن الأقْمشة والْكتَّان، وَفِي اَلطرِيق صادفتْ شابًّا غريبًا اِعترَض طريقَهَا، سائلا عن حالهَا، ومُبْدِيا اِنْبهاره بِجمالهَا الفتَّان، فأخْبرْته أَنهَا اِمرأَة تَغُض الطَّرْف عما سوى بعْلهَا وطلبتْ مِنْه الابْتعاد قَبْل أن يُمْسِكه حرس السُّلْطان، فانْصَرف عَنهَا مَذهُولا كَيْف يَكُون هذَا الحسن حسن وَاحِدة مِن بَنَات الإنْسان.. حَتَّى أَزَّه صاحبه بِلقائهَا مَرَّة أُخرَى فِي قَصْر السُّلْطان، والحَال أَنَّهُما كَانَا نفرًا مِن أَبنَاء الجان يجوبَان اَلأزِقّة والأسْواق وَهمَا يَلهُوان.

فَفعَل كمَا قال لَه صَاحبِه وَذهَب إِلى القصْر مُحاوِلا لِقَاء الأميرة بَدْر الزَّمَان، لَكنَّه فَشِل ولم ينل إِلَّا المذَلَّة والخذْلان، يَومها لَمَح صاحبه البهْو الموْضوع بِداخِله الميزان وَقَال فِي نَفسِه إِنَّ هذَا كَنْز لَا يَستحِقه الإنْسان، فَخطَّط فِي حِينه لِلظَّفر بِالميزان، واسْتَغلَّ غَفلَة صَديقِه الولْهان وأغْرَاه بِأن يُقَابِل الأميرة هَذِه المرَّة مُتَّخذًا شَكْل اَلأمِير سَلْمان هَكذَا لَا يَطرُد ولَا يُدَان.. بيْنمَا اِنتحَل هُو شَخصِيّة خَادِم اَلأمِير حَتَّى يُوسْوِس إِلَيه ويزْرع فِيه الشَّك بِإخْلَاص بَدْر الزَّمَان، فأراد إِدانتهَا بِالدَّليل اَلمُبين وَدخَل مُتلصِّصًا لِحديقة قَصْر السُّلْطان، وَصدَم لمَّا رأى خطيبَته تُكلَّم غَيره مِن الرِّجَال بيْنمَا قد

غلـب علـيْـه الوهْـم اَلـذِي سَـلّطَه علـيْـه الجـان، فسـيْطر علـيْـه اَلحُـزن والغَضـب فِـي آن، ثُـمَّ صـرخ واسْـتلَّ سَـيفُه مُقَـررا قتـل بَـدْر الزَّمَـان التِـي فَقـدَت الوعْـي مِـن صَدمتِهـا فِـي ثَـوَان، لَكِـن الخـادم أَمسَـكه مُذَكـرا إِيَّـاه بِاسْـتحالة ذَلِـك بِسَـبب قُـوَّة الميـزان؛ فاتَّجـه مُغَاضبـا نَحْـو البهْـو مغيبًـا تمامًـا عـن العقْـل كالسَّـكْران؛ وهكـذَا هُـو الغضـب حِيـن يَستسْـلِم لِسـطْوَته الإنْسـان.. وضـرْب الميـزان بِسـيْفه كاسـرًا حَاجِـز الأمَـان، لَحَظتهَـا اِلتقَطـه الجـان، وعنْـد ذَلِـك تَزَلزلَت الأرْكان وانْقسمتْ المملْكتـان إِحْداهمَـا فِـي الأرْض والأخْـرى فَـوْق سَـحَاب الرَّحمـن، وَحكِـم عَليهِمـا بِالظُّهـور لِلعيْـش مِـن كُلِّ عـامٍ أُسْـبوعان ويوْمَـان، أُمَّـا اَلْجـان عُوقبـا لِتدخُّلهـم فِـي البشـر وَزَعزعَـة السُّـلْطان، فَالـذِي تَنكَّـر فِـي صُـورَة اَلأمِيـر حُبِـس فِـي مِصبَـاح حَتَّـى يَخـدِم مَـا شـاء اللَّه لَـه مِـن بَنِـي الإنْسـان؛ أَمَّـا الآخـر فقـد سُـجن وحبـس عـن الأذى إِلـى نِهايـة الأزْمان.

قَالُـوا: ومَـا اَلـذِي حـدث لِلأمِيـر سَـلْمان وبـدْر الزَّمَـان؟ وَمِـن أَيْـن لَـك بِهَـذه التَّفاصيـل، ومَـا الحَـل وأيْـن الميـزان الآن؟

قَالَـت: علـى رِسْـلكم؛ إِنَّهمَـا يعيشَـان فِـي قصْريْهمَـا بَعيدِيـن عـن بَعضهِمـا ينْتظـران اللِّقَـاء أو المـوْتِ مـع مَـا فِـي القلْـب مِـن أَحـزَان، وَالتِـي تُكلَّمكـم الآن هِـي بَـدْر الزَّمَـان؛ أَمَّـا فِيمَـا يَخُـصّ معْرفتنَـا بِمَـا حصـل ومَـا ظهـر مِنْـه ومَـا خَفِـي فسْـتعرفونه بعْدمَـا تُقابلـون أَبِـي اَلمَلِـك بُرْهـان.

فِي حَضرَة اَلمَلِك بُرْهان

لَقد كَانَت فَرحَة اَلمَلِك بُرْهان بِالزُّوَّار أشدّ مِن فَرحَة بَدْر الزَّمَان، فأكْرم ضُيوفه أَيمَا إِكرَام ثُمَّ أطْلعَهم على غُرفَة مِن قَصرِه سمَّاهَا غُرفَة الأكْوان، التِي يَجمَع فِيهَا أَغرَب اَلكُنوز مِن عَجائِب الأمْصار والْأزْمان. فَعمَد إِلى كِتَاب أخْبرَهم أَنَّه كان هَديَّة مِن المَلِك رُويان يُخْبِر صاحبه بِكلِّ مَا جرى مِن أَحدَاث فِي الماضي ومَا يَدُور الآن، وَلمَا فتحه برز مِنْه طَيْف رَجُل يَلبَس لِبَاس الكهْرمان، هُو اَلذِي كان قَبْل ذَلِك قد أَعلَمه بِكلِّ مَا أَدَّى إِلى لَعنَة الميزان وأَن لَعْنته لَا تَزُول إِلَّا بِرجوعه إِلى البهْو وَهُو مَصُون.

فسألوه عن مَكَان تواجده، فأخْبرهم أنَّ الميزان فِي كَهْف الأسْرار مُنْذ أَطبَقت كفَّتيْه حَتَّى يَحبِس أحد الجان!

ثُمَّ سَألُوه عن اَلذِي يَقِف وَرَاء حَوادِث التَّحَجُّر والْخَطْف، وقضَّ مضاجعهم بعْدمَا كَانُوا يعيشون فِي سَلَام وَأَمان.

فَقَال إِنَّه سَاحِر يَهوَى الانْتقام يَبحَث عن الميزان لِينْشر الأحْزان وَهُو فِي طَرِيقِه إِلى الجبَال السُّود الآن، حَتَّى يَتَزامَن مع القمر الدَّمَويِّ ويفْتح بَوَّابة الأكْوان..

قال السِّنْدباد وَعَلاء الدِّين فِي آن وَاحِد: كُنْت مُتأكِّدًا أنَّ وَرَاء الأمْر سِحْر وَسَاحِر.

Mizou

ثُمَّ أَردَف عَلَاء الدِّين قائلا: أَعرِف أَيْن يقع ذاك الكهْف لِأَنه نَفْس الكهْف اَلذِي أَخذْت مِنْه المصْباح، لَكِن مهْلا هل يُمْكِن أن يَكُون السَّاحر هُو نَفسُه؟

لَا يَهُم من يَكُون المهِم أَنَّه يَجِب عليْكم اللَّحَاق بِه قَبْل أن تقع الواقعة ويبْدأ الكابوس، فلم يَتبَق غَيْر يوْميْنِ على الحدث؛ قال اَلمَلِك بُرْهان مُقاطِعًا.

فَوَافقَه السِّنْدبَاد وبعْده عَلَاء الدِّين وَقَال: مع أَنِّي كُنْت أَرغَب فِي مَعرِفة حَقِيقَة هَذِه العصْفورة، لَكِن لَا بَأْس سنكْتَشف أَمرَها فِي وَقْت لَاحِق.

وهكذَا قَرّرُوا اللَّحَاق بِالسَّاحر قَبْل فَوَات اَلْأَوان، تَاركِين الرَّجل اَلذِي كان مَعهُم فِي صُحبَة اَلمَلِك بُرْهان.

سُوق الكذَّابين

فِـي طَرِيقِهِـم لِلَّحـاق بِالسَّـاحر اِختفَـى فَجـأَة البسَـاط الطَّائـر، وَوقَـع السِّـنْدباد وَعَـلاء الدِّين علـى كُثْبـان مِـن الرَّمْـل سَـالمِين، ووقَـف عَـلَاء الدِّيـن يَنفـض ثَوبُـه قائـلا: هـذَا لَيْـس وَقْتَـه أبـدًا لَيْـس وَقْتَـه.

حـدث ذَلِـك بِالقـرْب مِـن مَدِينَـة غَرِيبَـة وَسـورِها المُتَهالـك يُضْفِـي علَيْهَـا هَالَـة عَجِيبَـة، وَكَان علـى بابهَـا حارسَـان لَـمُّ يُكلَّموهـم ولَا حَتَّـى ردًّا السَّـلَام وَإِنمَـا أخـذا فحسْـب يضْحـكَان، وَكَان أَوَّل مَـا صادفـوه عِنْـد دُخولِهَـا غُـلَام يَحمِـل البسَـاط اَلسـحْرِي وَيجـرِي فِـي أرْجائهَـا، فحاولـوا إِمْسـاكه لَكنَّـه اِختفَـى دَاخِـل السُّـوق الضِّيـق وعجـزوا عـن إِيقافـه.. وهكـذَا وَلجُـوا السُّـوق بَاحثِيـن وللْجميـع عـن اَلغُـلام حَامِـل البسَـاط سَـائلِين، والْعجيـب أنَّ إِجاباتهـم كَانَـت مُتضاربـة تَجعَـل اَلعُقـول حَائِـرة مُضطربَـة، فَهـذَا يَقُـول إِنَّـه رآه عِنْـد بَائِـع البخـور والْآخـر رآه مـارًّا بِحانـوتِ اَلعُطـور، فأجْهـدوا وأدْركـوا أنَّ فِـي الأمْـر إِنَّ، ثُـمَّ لَقيهـم رَجُـل مُلثَّـم وحادثهـم سـائلا عـن دبُّـور ذَهبِـي صغيـر الحجْـم سـرق مِنْـه بَعْـد رُجوعـه مِـن رِحْلَـة تِجـارة فِـي بِـلَاد الديلـم.

فقالـوا لَـه: حَتَّـى نَحْـن سـرق مِنَّـا البسَـاط اَلسـحْرِي أَثنَـاء الطَّيـران فِـي اَلجَـو، لَا نَـدرِي كَيْـف لَكِـن رأيْنَـاه مـع أحـد الغلْمـان فِـي هـذَا السُّـوق اَلغرِيـب ولـم نَجِـد تعاونًـا حَقِيقِيًّـا مِـن أحـد...

وَقبِـل أن يُكْملـوا قاطعَهـم: مهْـلا لحظـة، قُلتُـم إِنَّـه سـرق مِنْكـم أَثنَـاء التَّحْليـق! رُبَّمَـا أعْـرِف الأدَاة اَلتِـي سـرق بِهَـا بِسـاطكم... الدَّبُّـور الذَّهَبـيَّ اَلـذِي سـرق مِنِّـي هُـو أَدَاة لَـو أرْسـلتْهَا علـى الشَّـيْء وَحطَّـت فَوقَـه أتتْك بِـه فِـي لَمَّـح البصـر، ويَتَبـدَّى لِـي أَنَّـه بِحـوْزة اَلغُـلام اَلـذِي رأيْتمـوه، لَكِـن مَـا دمنَـا فِـي سُـوق الكذَّابيـن يجْعلنَـا ذَلِـك عَالقِيـن فِـي شِـبْه دَوَّامـة، وأرْجـو أَنَّـه لَـم يَخـرُج مِـن السُّـوق بَعْـد حَتَّـى لَا يَـزْداد الأمْـر صُعُوبَـة.

قـال السِّـنْدبَاد: سُـوق الكذَّابيـن! هَـذِه سَـجيَّة القـوْم إِذْن، لَكِـن دَوَّامـة اَلكَـذِب هَـذِه سـتنْتَهي الآن. يَجِـب أن نُوحِّـد جُهودنَـا حَتَّـى نُمْسِـكه فالْوَقْـتُ يُداهمنَـا.

لَحظتهَـا مـرَّ بِمحاذاتِهـم شـابٌّ يُكلِّـم نَفسَـه كمـن بِـه خَبَـلٌ أو جُنُـونٌ، وَيقُـول لَقـد أضعْـتُ كُلُّ شَـيْء أضعْـتُ اَلـكُلَّ بِسَـبب الخـوْف والْوَهْـم المشْـحونِ.. فأوْقفـوه واسْتفْسـروا مِنْـه إِنْ كان قـد أصابـه مَـا أصابَهـم ونابـه مَـا نابهـم فَقَـال: هـل تـروْن هَـذِه المدينـة بِفوْضاهَـا وَضيقِهـا وَغَرابَـة ناسـهَا؟ لَـم تَكُـن كَذلِـك؛ وَإِنّمَـا كَانَـت مَدِينَـة طَبيعِيّـة يَنعَـم فِيهَـا اَلجمِيـع بِالطُّمأْنينـة علـى الرَّغْـم مِـن بَسـاطَة عَيشـهِم والنَّوائـب اَلتِـي أحْيانًـا تُصيبهـم؛ طُمأْنينـة مَنبعِهـا الرِّضَـا وَصَفـاء قُلوبِهـم. حَتَّـى جـاء اليـوْم اَلـذِي قَـررَت فِيـه تَـرْك الحـدادة وتعلُّـم التِّجـارة، وَكَان لِـي صَاحِـب اِسْـتأْمنني علـى عَشـرَة آلاف دِينـار طلـب مِنِّـي أن أَذهَـب بِهَـا

إِلـى قَافِلـة تِجارِيَّـة قَادِمـة مِـن الصِّيـن واشْـتري مِنْهـم كُلَّ بِضاعتهـم مِـن الحرِيـر، فَـكَان مِـن غَفلَتِـي وبلاهتـي أن أضعْـتُ اَلْمـال فِـي اَلطرِيـق بِطريقـة تَجعَـل الأَلْبـاب حيـارى.. ووضعـتْ يَـدِي علـى خَـدِّي غارقًـا فِـي هَمِّـي، حَتَّـى مـرَّ غريـب تَبـدُو علـى عيْنيْـه امـارَات الدَّهَـاء وكلَّمَني مُسْتفْسـرًا عَمَّـا يكـدر حالـي، فقصصْـتُ عليْـه مَـا كان فَهـوَّن عَلـيَّ الأمْـر آتيًـا بِحـلٍّ لَـم يَخطُـر علـى بَالِـي، وعملـتُ بِنصيحتـه إِذ رَجعَـت إِلـى صَاحبِـي وأخْبرتْـه أنَّ أَصحَـاب البضاعـة لَـم يقْبلـوا بِأَقـلّ مِـن عِشْـرين أَلْـف دِينـار ثمنًـا لَهَـا وهكـذَا أَخـذَت مِنْـه عَشـرَة آلاف أُخـرَى لِأتمَكَّـن أخيـرًا مِـن شِـرائِهَا..

ثُـمَّ مـرَّ عَلـيَّ يَـوْم وَإِذ بِـي أَلقَـى اَلغرِيـب مَـرَّة أُخـرَى بِمحـاذاة السُّـوق، وَقـدَّم نَفسَـه لِـي علـى أَنَّـه تَاجِـر مَرمُـوق اِسْـمه مَسـرُوق وَعـرَض عَلـيَّ العمـل معـه مُقَابِـل أَجْـر غَيْـر مَسبُوق، فانْتهـزتُ اَلفُرصـة وقبلـتْ عَرضَـه وعملـتُ معـه حَتَّـى بَاتَـت تِجارَتـه تَكتَسِـح السُّـوق.. وتأْمـل فِـي أَمـرِه فلـم يَجِـد لَـه مُنافِسًـا غَيْـر شـهْبنْدر التُّجَّـار صَـدُوق، فَـكَاد لَـه عِنْـد الوالـي وأغْرانـي بِمزيـد مِـن اَلْمـال فَكُنـت سـاعده فِـي كَيـدِه لِلْإطاحـة بِصـدوق.

وهكـذَا مَـرَّت الأيَّـام وأصْبـح مَسـرُوق شـهْبنْدر التُّجَّـار، وَكُنـت حـال سَـيرِي بَيْـن النَّـاس أَتأَمـل أحْوالهـم بِاسْـتمْرار، وَلَاحظـتُ اِنْقلابهـم مِـن حـالٍ إِلـى حـالٍ فانْتَشـر بَينُهـم اَلكَـذِب والْخبْـث وضاعـتْ رَاحَـة اَلْبـال؛

فَشَـاركَت هَمِّـي مـع شـهْبَنْدر التُّجَّـار وَإِذ بِـه يُفاجئنـي بِقوْلـه: هل تَعتَقِد أَنَّـك أَفضَـل مِنْهم؟ لَقد كَذبَـت علـى صَديقِك وَشَـاركَت فِـي مَكِيـدَة ضِـد الشَّـهْبَنْدر السَّـابق! فصدمَنـي جوابـه وَأَغلظَـت لَـه فِـي القـوْل حَتَّـى اِنفجَـر ضاحـكًا وأظْهـر لِـي وَجهَـه الحقيقـيِّ مُتواقحَـا؛ يَومهـا عَرفْـت أَنِّـي تَسـببَت فِـي دُخُـول شَـيْطان وقبيلتـه المدينـة...

وَهنَـا بـادره السِّـنْدباد قائـلا: مَـا يَـزَال بِإمْكانـك إِصـلَاح الوضْـع.. فأجـاب بِنبْـرة يَحدوهـا الأمـل: أَيُعقَـل ذَلِـك؟ يُمْكِـن لِلْمدينـة أن تَرجِـع إِلـى سـلامهَا.. قـال: نعـم يُمْكِـن إِذَا كُنْـت تَملِـك شَـجاعَة البوْح بِالْحقيقـة أَمَـام مِـن كِذْبَـة عَليهِـم وأدَيْتهـم ثُـمَّ أَمَـام أَهْـل المدينـة جميعًـا.. عِنْدهَـا سَـيعِي اَلجمِيـع حَجْـم المصيبـة فيكفـون عـن اعمـال الشـرور.. وبالتَّالـي يُضْعِـف ذاك الشَّـيْطان ويخْـرج وَهُـو يَجْـر أَذيَـال الخيْبـة.

وَكَان الأمْـر كمَـا قـال السِّـنْدباد لِلْفتـى الحـدَاد، كان اَلحَـل فِـي الحقيقـة بِالـذَّات، فالْحقيقـة وحْدهَـا كَفِيلَـة بِبَعـث أَنفَـاس الحيَـاة فِـي عَالَـم قـد أصابـه اَلْمَـوات، أَمَّـا الشَّـياطين قـد ضَعفَـت وَخمَـد حِسُّـهَا وهربـتْ تَارِكـة وَرَاءهَـا كُلّ مَـا سُـرقَت وَنهبَـت، واسْـترْجع السِّـنْدباد وَمـن معـه البسَـاط اَلسـحْرِي كمَـا اِسْـترْجع التَّاجـر اَلمُلثّـم دبُّـوره الذَّهَبـيَّ، ثُـمَّ كان مِـن كَرمَـه أن أهْداهـم إِيَّـاه قائـلا: قَـرّرت أَلَّا أَبِيعَـه حَتَّـى لَا يقـع فِـي اَلأيْـدِي الخطـأ.. لَيْـس كرمًـا كبيـرًا منِّـي فَلـدَيّ نُسـخَة مِنْـه بِحوْزَتـي...

قَرَابِين

اِسْـتأْنف السِّـنْدباد وَمـن معـه طريقَهـم والْقَلـق علـى ذَويهِـم يَكتَنِـف صُدورَهـم، ووصلـوا أخيـرًا إِلـى الجبَـال السُّـود قُبَيـل فَجْـر اليـوْم الموْعـود، وقـد حَامُـوا حَولَهـا ثُـمَّ مِـن خِلالِهَـا إِلـى أنْ لَمحُـوا المقْصود.. وسـط تِلْـك الجبَـال اِجتمَـع عِشْـرون سـاحرًا فِـي مُـدرَّج صَخـرِي كأَنَّهـم الغرْبـان السُّـود، فاقْتَـرب السِـنْدبَاد وصحْبـه بِحَـذر مُتوارِيـن عَلَّهُـم يـروْن أو يسْـمعون شـيْئًا يكونـون عليْـه مـن الشَّـاهدِين؛ فَتَكلَّـم رئيس جمعهم عن الفُرصـة التِي لَا تَتَكـرَّر فِـي كُلِّ زَمَـان بِفَتـح بَوَّابـة الأكْـوان، وتفاصيـل أُخـرَى عَجـزُوا عـن سَماعِها تَخُـصّ الثِّقْليْـنِ وعـن القرابيـن المتحجِّريـن.

فانْتَفض السِّـنْدباد وَكَاد يَقفِـز مِـن مَكانِـه حَتَّـى أَمسَـكه عَـلَاء الدِّين وردّه إِلـى كِيانـه. لَقـد حَوَّلُـوا النَّـاس إِلـى حِجـارة حَتَّـى يفْتحـوا بِهـم بَوَّابـة الأكْـوان ولـم يَتبَـقَّ لِإِنْقاذهـم إِلَّا سُـوَيْعَات مِـن الزَّمَـان.

قـال عَـلَاء الدِّيـن: علَيْنَـا أن نَتَصـرَّف بِرويَّـة حَتَّـى لَا يَنكَشِـف وُجودنَـا لَهُـم، لَـم يَتبَـقَّ إِلَّا دَقائِـق مَعـدُودة علـى طُلُـوع الفجْـر، عِنْدهَا مِـن اَلمُؤكد أَنهُـم سـيخْلدون إِلـى الرَّاحـة لِاسْـتجْماع قوَاهـم مِـن أَجْـل المَسَـاء.. نَحْـن سـنتْبع رئيـس جَلسـتِهم علَّنـا نَجِـد الميـزان بِحوْزَتـه فنأْخـذه مِنْـه وندمِّـر خُطَّتهـم.. أَمَّـا ياسـمينة فتذْهـب لِاسْـتطْلاع أَمْـر اَلبقِيَّـة...

وهكذَا تَبعُوه خَفيَّـة حَتَّـى اِنـزوَى بِزاوِيـة بَيْـن الجبَـال قَصيَّـة وقد كان فِيهَـا متاعـه وغـلام يَنتظِـره وحصـان خَشـبِي مُجنَّـح عجيـب شَـكلَه.

قـال سِـنْدبَاد: يَـا إِلَهـي هـذَا حسـن نعـم إِنَّـه صَديقِـي حسْـن..

فَقَـال لَـه عَـلَاء الدِّيـن: إِذَا كان هُـو فسـيكون مِـن السَّـهْل إِنْقـاذه بَعْـد حُصولِنَـا علـى الميـزان والمصْبـاح معًـا؛ فانْتظـروه حَتَّـى غـطَّ فِـي نَومِـه وأرْسلوا الدَّبُّـور الذَّهَبـيَّ علـى مِخْلاتـه علَّ الميـزان يَكُـون بَيْـن أشْـيائه، لَكِـن ظَنّهُـم قد خـاب ولـم يَجـدُوا فِيهَـا غَيْـر مِـرْآة فِضِّيّـة وخبْـز يَابِـس وشـيْء مِـن حَشـائِش اَلْغـاب! فَأخَـذ عَـلَاء الدِّيـن المـرْآة يتفحَّصهَـا مُتأكِّـدًا كَوْنهَـا مِـرْآة سِـحْريَّة؛ وَبَينمَـا هُـو كَذلِـك لَمعَـت لَمعانًـا غريبًـا وَإِذ بِيرْبـوع مُقَابِـل لَهَـا قـد تَحـوَّل إِلـى كُتلَـة حَجَريَّـة، لَحظتهَـا تبيَّنـوا سـبب مصائبهـم بِصـورة جَليَّـة.

ثُـمَّ تَمعّـن السِّـنْدباد قليـلا فِـي المـرْآة ولاحـظ فِيهَـا تفْصيلـة مَألُوفـة، كان بِهَـا حجـر أَحمَـر شـبيه بِحَجـر الفلاسـفة، فَشـدَّه وانْتزعـه، وبالْحجـر الـذِي عِنْـده أَلصَقـه، عِنْدهَـا كَانَـت المفاجـأة وصَـدق ظَنِّـه. أخيـرًا قـد وَجـدُوا مَـا كَانُـوا يبْحثـون عَنْـه، عِنْدهَـا أدْركـوا أنَّ المـرْآة السِّـحْريَّة التِـي كَانَـت بِحوْزتهـم أصابـتْ فِـي إِرْشـادهم..

فَقَـال السِّـنْدباد: مَـا دُمنَـا لَـم نَجِـد الميـزان فَهـذِه فُرْصتنَـا لِإِنْقَـاذ ذَوِينَـا، علَيْنَـا اَلْعَـودة إِلـى حَيْـث نَاطُـور الحجـارة.. واقْتَـرح علَيْـه عَـلَاء الدِّيـن أن يَذهَـب وَحـدَه لِلنَّاطـور بيْنمَـا هُـو يُرَاقِـب مَـا اِستجَد مِـن أُمُـور حَتَّـى

يَتَدخَّـل فِـي الوقْـتِ المناسـب أو حـال وُقُـوع المحْـذور، فَعمَـل بِنصيحـة صَاحبِـه بعْدمَـا اِسْـتحْوذ علـى حِصَـان السَّـاحر اَلـذِي كان أَسـرَع مِـن البسَـاط الطَّائـر.

الأميرة يَاسمِين

بَعْـد سَـاعَةٍ مِـنْ الِانْتِظَـارِ عَـادَتْ يَاسَـمِينَة بِالأَخْبَـار، لَقَـدْ كَانَ بَعْـضُ اَلسَّـحَرَةِ مُتَوَجِّسِـينَ وَعَلَـى مَصِيـرِ البَشَـرِيَّةِ قَلِقِيـنَ، فَقَـدْ خَافُـوا مِـنْ اِنْتِشَـارِ اَلْفَوْضَـى بِتَدَاخُـلِ العَوَالِـمِ وَمِـنْ أَنْ يَعُـمَّ اَلدُّنْيَـا ظَـلَام دَائِـدم؛ فَإِنَّـهُ أَنْ فَتَحَـتْ اَلْبَوَّابَـةُ سَيَكُونُ إِعَـادَةَ اَلْمِيـزَانِ إِلَـى طَبِيعَتِـهِ لِإِغْلَاقِهَـا مُهِمَّـةَ جَـدّ صَعْبَـةٍ..

قَـالَ عَـلَاءْ اَلدِّيـنْ: هَـذَا خَبَـرٌ سَـار.. عَلَـى اَلْأَقَـلِّ تُوجَـد طَرِيقَـةٌ لِغَلْقِهَـا ثُمَّ آثَـرَ عَـدَمَ القُعُـودِ وَتَحَـرّك لِإِنْقَـاذِ الغُـلَامْ وَالبَحْـثِ عَـن اَلْمِيـزَانِ رَيْثَمَـا السِّـنْدِبَادْ يَعُـودُ. فَاقْتَـرَبَ مِـنْ مَـكَانِ اَلسَّـاحِرِ حَتَّـى لَمَحَـهُ الغُـلَامْ إِلَّا أَنَّ عَـلَاءْ اَلدِّيـنْ أَشَـارَ إِلَيْـهِ بِالتَّـرَوِّي وَأَنْ يَقْتَـرِبَ مِنْـهُ دُونَ كَلَامٍ؛ فَتَأَكَّـدُ مِـنْ كَوْنِـهِ حسـنَ صَدِيـقِ السِّـنْدِبَادْ وَطَمْأَنَـهُ ثُـمَّ وَثَـب عَلَـى اَلسَّـاحِرِ فَقِيـدَهُ وَأَمَـاطَ عَنْـهُ اللِّثَـام، وَمِـنْ هَـوْلِ المُفَاجَـأَةِ بَـرَزَتْ عَيْنَـاه وَارْتَجَفَـتْ شَـفَتَاهُ وَلَـمْ يُصَـدِّقْ مَـا يَـرَاهُ، لَقَـدْ كَانَـتْ الأَمِيـرَة يَاسَـمِينْ مَـنْ تَرْتَـدِي ثِيَـابَ اَلسَّـاحِرِ فَطَلَبَـتْ مِنْـهُ فَـكّ وِثَاقِهَـا بِسُـرْعَة.. فَلَبَّـى ذَلِـكَ وَهُـوَ مَذْهُـولٌ حَائِـرٌ، بَيْنَمَـا أَخَـذَ حسن يَمْنَعُـهُ وَيَدْفَعُـهُ بِقُـوَّةٍ حَتَّـى وَقَعَـتْ مِنْهَـا صُـرَّةُ صَغِيـرَةً وَجَـدُوا فِيهَـا تِمْثَـالاً عَلَـى شَـكْلِ الأَمِيـرَةِ، وَاسْـتَغْرَبَ عَـلَاءْ اَلدِّيـنْ مُتَسَـائِلاً عَـنْ سَـبَبِ حَمْلِهَـا لِهَكَـذَا تِمْثَـالٌ فَامْتَعَـضَ وَجْهُهَـا وَصَـارَتْ نَظَرَاتِهَـا مُرعِبـةٌ فِـي اَلْحَـالِ، ثُـمَّ تَوَشَّـحَ اَلْجَـوُّ سَـوَادًا وَلَـمْ

يَشْـعُرْ عَـلَاءْ اَلدِّيـنْ بِنَفْسِـهِ إِلَّا وَهُـوَ يَنْتَبِـهُ عَلَـى اِسْـمِهِ مُنَـادى. قَـالَ: أَهَـذِهِ أَنْـتِ يَـا يَاسَـمِينْ؟ وَسـمِعَ اِسْـمهُ مَـرَّةً أُخْـرَى وَأُخْـرَى؛ فَفَتَـحَ عَيْنَيْـهِ وَتَبَيَّـنَ أَنَّ العُصْفُـورَةَ يَاسَـمِينَة مَـنْ كَانَـتْ تُنَادِيـه، وَأَنَّـهُ هُـوَ وَحسْـن مُقَيَّـدَانِ بِالأَغْـلَالِ وَقَـدْ حَـلَّ اَلظَّـلَامُ وَضَـاقَ الحَـالُ، فَخَاطَبَهُمَـا سَـائِلاً: هَـلْ مِـنْ خَبَـرٍ عَـنْ سِـنْدِبَادْ؟ فَأَجَابَـاهُ بِالنَّفْـي وَبِـأَنَّ جَعْفَـرْ قـد عَـرَفَ بِشَـأْنِهِ وَأَرْسَـلَ وَرَاءَهُ مِـنْ يَتَقَصَّـى أَمْـرُهُ حَتَّـى يُنْهِيَـهُ.

وَبَعْدَمَـا جَـالَ بِبَصَـرِهِ جَيِّـدًا فِـي المَـكَانِ وَجَـدَ نَفْسَـهُ مُحَاطًـا بِالسَّـحَرَةِ اَلَّذِيـنَ يُحضِّـرُونَ أَنْفُسُـهُمْ لِفَتْـحِ بَوَّابَـةِ الأَكْـوَانِ؛ حَتَّـى قَـالَ لَـهُ أَحَدُهُـمْ: لَقَـدْ مَنَعْتَنِـي مِـنْ صِنَاعَـةِ عَالَمِـي.. اِسْـتَيْقِظَ حَتَّـى تَشْـهَدَ دَمَـارَ عَالَمِـكَ. كَانَ الصَّـوْتُ الـذِي سَـمِعَهُ مَأْلُوفًـا وَقَائِلُـهُ مَعْرُوفًـا، وتأكَّـد أَنَّ حَدْسَـهُ كَانَ فِـي مَحَلِّـهِ، كَانَ عَلَيْـهِ اَلْقَضَـاءُ عَلَـى جَعْفَـرْ لَا تَرْكَـهُ فِـي اَلصَّحْـرَاءِ لِمَصِيـرِهِ؛ وَهَـا هُـوَ الآنَ فِـي أَسْـوَأ مُوَاجَهَـةٍ لَـهُ مَعَـهُ... وَلَا جَدِيد عَـنْ السِـنْدِبَادْ هَـلْ وَصَـلَ فِـي مَوْعِـدِهِ أَمْ لَـمْ يَصِـلْ بَعْـدُ إِلَـى مَقْصِـدِهِ.. فَقَـالَ لَـهُ: مَـا الـذِي فَعْلَتَـهُ بِالْأَمِيـرَةِ يَاسَـمِينْ؟

أَرَى أَنَّـكَ لَـمْ تَتَفَاجَـأْ كَثِيـرًا لِرُؤْيَتِـي حَيًّـا.. لَا تقْلَـق.. الأَمِيـرَة يَاسَـمِينْ عَلَـى قَيْـدِ الحَيَـاةِ وَسَـتَرَاهَا قَرِيبًـا لَكِـنْ لَيْـسَ قَبْـلَ أَنْ تُشَـاهِدَ اَلْعَـرْضَ اَلْقَـادِمَ؛ أَجَـابَ جَعْفَـرْ وَعَلَـى وَجْهِـهِ تَرْتَسِـمُ اِبْتِسَـامَةٌ خَبِيثَـةٌ..

فَصَـاحَ عَـلَاءْ الدِّيـنْ: أَخْبِرْنِـي أَيْـنَ هِـيَ أَيُّهَـا ال... حَتَّـى لَـوْ فَتَحَـتْ البَوَّابَـةُ سَـتَعْجِزُ عَـن اَلتَّحَكُّـمِ فِيمَـا يَنْتِـجُ عَنْهَـا..

تَعْتَقِـدَ أَنَّــى بِمَثَـلِ سَـذَاجَتِكَ، لِمَــاذَا بِظَنِّــكَ أَخَـذَتْ مِنْــكَ المِصْبَــاحُ السِّــحْرِيّ؟ لَقَدْ عَهِدَتْـكَ ذَكِيًّـا يَـا عَـلَاءْ اَلدِّيـنْ . . . فَقَـالَ عَـلَاءْ اَلدِّيـنْ بِنَظَـرَاتٍ شَـاخِصَةٍ: مَهْـلاً! أَتَنْـوِي فَتْـحَ بَوَّابَـةَ اَلْأَكْـوَانِ ثُـمَّ تَنْصَبُّ نَفْسُـكَ مَلْـكًا عَلَيْهَـا؟! أَلَـم تُفَكِّـرُ بِاحْتِمَـالِ خُـرُوجِ اَلْأُمُـورِ عَـن السّـيطرة؟ فَانْفَجَـرَ جَعْفَـرْ ضَاحِـكًا كَأَنَّـهُ دَوِيُّ بُـرْكَانٍ ثُـمَّ أَجَـابَ: بِفَضْـلِ المِصْبَـاحِ السِّــحْرِيِّ أَنْــتَ الآنَ أَمَــامَ أَعْظَــمِ سَــاحِرٍ فِــي اَلْوُجُــودِ، وَأَعْظَــم مَلِــكٍ سَـيَعْرِفُهُ اَلتَّارِيـخ..

فَتْح البوَّابة

لَقد بَدأَت ظَاهِرة القمر الدَّمَويِّ ومَا مِن خبر عن السِّنْدباد، وهَا هُم السَّحَرة على أتمَّ الاسْتعْداد. ساد الأجْواء رُعْب أَسوَد وسط تمْتمَات وأهازيج سِحْريَّة عَجِيبَة وحركَات جَعفَر الغريبة، فقد كان يَتَوسَّط المكَان تمامًا أَمَام مَا سَمَّاه سَاعَة الأزْمان، ثُمَّ ساد فَجأَة صَمْت مُخيفٍ وَرفَع جَعفَر الميزان ..وبإشارة مِنْه عاد إلى هَيئَتِه كمَا كان وتحرِّر الجان، ثُمَّ وَضعِه فِي مَركَز السَّاعة ورفع إِحْدى كَفَّتيْه بيْنمَا اِنْخفَضتْ الأُخرى بِوضاعة؛ وَبدَأ يَدُور مُسْرِعا عَكْس عَقارِب السَّاعة، إلى أنَّ تَباطُأ شيْئًا فشيْئًا، وكفتَاة بَدأَت بِالتَّحرُّك نُزولا وَعلُوا فَهتَك نِقَاب الظَّلَام بِضَوء أَزرَق وأخذ الفضَاء فِي الانْقسام، حَتَّى صنع فُتحَة أَشبَه بِعَين عَمودِية ضَيِّقَة أبتْ أن تَتَوسَّع بَعْد تِلْك الدَّقيقة. ووقف جَعفَر مُتعجِّبًا ثُمَّ زَمجَر مُغْضبا، وَتَساءَل عن مَكمَن الخطأ أو المشْكلة وعن الجُزء اَلذِي غفل عَنْه وَسبَّب هَذِه المعْضلة.. بيْنمَا هُو كَذلِك حَتَّى داهمه عَلَاء الدِّين مُهاجِمًا بعْدمَا نجح فِي فكِّ أغْلاله لَكِن سُرْعان مَا اِفْتكْته منه يد الجان الضَّخْمة أَثنَاء قِتاله، وَكَان اَلْمارد أَيَّام سِجْنِه قد تَوعَّد بِالانْتقام مِن الإنْسان وَقرَّر البدْء بِمن يُحَرِّره مِن أَسْر الميزان؛ فحاول عَلَاء الدِّين ثَنيَه عن ذَلِك لِأنَّ السَّاحر مَعه سرّ يَاسمِين. وَقَال : اِنتظَر لَا

تَقتُلـه فَـإنَّ قَتْلَـه لَـن يُفيـدك فِـي شَـيْء غَيْـر اِسْـتجْلاب لَعنَـة جَدِيـدَة علـى نَفسِـك، ولـو كُنْـت مكانـك لَتركَتـه وانْشـغلتُ بِإنْقَـاذ صَديقِـي مِـن الأسـر؛ فمَـا رَأيُـك بِهَـذا العـرْض أُخلِّـص صديقـك مِـن لَعنَـة المصْبـاح مُقَابِـل افـلات ذَلِـك الأحْمـق مِـن يَـدِك؟

قال العفْريتُ: هُو الآخر قد عُوقب!؟ كُلُّه بِسببِكم أَنتُم البشر..

لَا يَهُـم مَـن السَّـبب المهِـم الآن أنْ تُحـرِّر صَديقِك؛ قالهَـا عَـلَاء الدِّيـن مُقاطِعًـا كلامـه حَتَّـى يُقْنِعـه..

فأجابـه: سِيماروش كان صَاحبِـي الوحِيد وإنْ خلَّصتَـه أَعـدُك أَنِّـي لَـن أَمْـس أحـدًا مِنْكم بِسـوء.

ففـرك عَـلَاء الدِّيـن المصْبـاح الـذِي أَخـذَه مِـن جَعفَـر وَقْـت القتَـال إذ كان هـذَا أَملُـه اَلوحِيد والحـلُّ الأمْثـل، وَتَمنَّـى أن يَتَحـرَّر المـارد لَكِـن هـذَا اَلأخِيـر ذكَّـره بِـأنَّ تحْقيقهَـا غَيْـر وَارِد لِأنَّ رصيـده مِـن الأمْنيـات مِـن قَبْـل قـد نَفـذ.. فَوقَـع عَـلَاء الدِّيـن هُـو الآخـر لُقمَـة سَـائِغة لِغَضـب الجـان، بيْنمَـا المخْلوقـات الغريبـة تُحَـاوِل اِختِـراق بَوَّابـة الأكْـوان..

لَكِـن سُـرْعان مَـا هَبَّـت نَسـائِم الخـلَاص بِقـدوم السِّـنْدباد الـذِي فـزع لِرؤْيـة البوَّابـة وصديقـه فِـي قَبضَـة العفْريـتِ المدِيـد، فحـاول أن يُخَلِّصَـه لَكِـن عَـلَاء الدِّيـن قـال لَـه: عليْـك بِالمصْبـاح السِّـحْرِي يَـا سِـنْدبَاد.. تَمنَّـى تَحرِيـر المـارد فَهـذَا السَّـبِيل الوحِيـد لِلنَّجَـاة؛ لَا اِنتَظـر لَحظَـة تَمنَّـى غَلْـق البوَّابـة أوَّلا..

Mizou

فاسْـتدْعى السِّـنْدباد مَـارِد المصْبـاح وَتَمنَّـى إِغـلَاق البوَّابـة ودرْء الأشْباح، لَكِن المـارد قـال: هـذَا الأمْـر يَتَعـدَّى قُدراتـي ومـسَّ الميـزان مُحـرَّم علـى الجِـنّ ولَا يُمْكِـن غَلْـق البوَّابـة إِلَّا بِتوقُّفـه عـن الـدَّوران وَرجُوعـه إِلـى حَالَـة التَّـوازن وبالتَّالـي فـكُّ المفْتـاح..

فمَـا كان لَـه إِلَّا أنَّ حَـرّرَه، ثُـمَّ حَـاوَل الاقْتـراب مِـن سَـاعَة الأزْمـان فَعجَـز عـن اِختِـراق الحاجـز والوصـول إِلـى الميـزان؛ فالْتَفـتَ إِلـى جَعفَـر مُمْسِـكا إِيَّـاه مِـن رَقبَتِـه وأمـره بِغَلـق البوَّابـة وإِصْـلَاح مَا أَفسَـده، لَكنَّـه سَـخِر مِنْهـم مُعْلِنـا رَفضُـه، فربطـوه بِالحبـال ريْثمَـا يحلُّـون هـذَا الإِشْـكال..

وَقَـال عَـلَاء الدِّيـن لِلسِّـنْدباد: مَـا دُمْـت قـد عُـدْت فَغالِبـا قـد نَجحـت فِـي إِيقَـاظ نَاطُـور الجبَـال.. وَإِذَا كان الأمْـر كَذلِـك كَيْـف تَمكَّـن مِـن فَتْـح البوَّابـة؟

فأجابـه مُسْـتغْربًا: فِعْـلا أَمْـر عجيـب! لَكنِّـي فِـي الحقيقـة لَـم أَسـتَطع إِنقَـاذ الجمِيـع لِأنَّ اَلأُمـم اَلتِـي تَحوَّلَـت إِلـى حِجـارة مُنْـذ أَزمَـان غَابِـرة يَستحِيل أن تَرجِـع كمَـا كَانَـت بعْدمَـا لَـم يَتبَـقّ مِنهَـا غَيْـر بَعْـض الأثـر. وتَبسَّـم جَعفَـر ضاحـكًا مِـن قَولِهِـم ثُـمَّ قـال: لَـم يَتبَـقّ مِنهَـا غَيْـر بَعْـض الأثـر.. هـذَا سـبب عَجـزِي عـن فَتْـح البوَّابـة فتلْـك اَلقُـرى لَا تَكفِـي طاقتهَـا مِـن أَجْـل الفتْـح الكُلّـي.. ومـع بَقائِهـا هَكـذَا ستنْجح اَلكثِيـر مِـن تِلْـك المخْلوقـات بِالنِّهايـة فِـي وُلُـوج هـذَا العالـم وتحْويلـه إِلـى جحيـم...

والْتَفَّتْ عَلَاء الدِّين إِلى بَقيَّة السَّحَرة وأعلمهم مَا بَلغَه عن تَخوُّفِهم فِي هذَا الأمْر مِن سُوء العاقبة، فأخْبروه أَنهُم لَا يُمانعون المساهمة فِي غلْقهَا لَكِن يُحتَمَل أن يَنفَجِر الميزان إِنْ زَادَت قُوَّة الضَّغْط عن حَدّهَا أو تُحدِث فَوْضى فِي الكوْن يعْجزون عن رَدّهَا.

قال السِّنْدباد: لَا! الأميرة بَدْر الزَّمَان وَقصرِها بِحاجة إِلى هذَا الميزان حَتَّى يتخلَّصوا مِن اللَّعْنة..

لَحَظتهَا سَمعُوا صوْتًا يَقُول: الأميرة بَدْر الزَّمَان؟! كَيْف هِي وكيْف يُمْكنني مُساعدتهَا.. لَقد كان ذَلِك صَوْت مارد المصباح.

فَأَجابَه عَلَاء الدِّين: بِأن تُعينَ السحرة على غَلْق البوَّابة..

وهكذَا تعاونوا على غلْقهَا على الرَّغْم مِن اِسْتعْصاء أَمرِها، وَلمَّا رأى السِّنْدباد طُول الأمْر وصعوبته بِهَذا القدر، خطر إِلَيه أن يَسأَل المرْآة السِّحْريَّة عَلَّهَا تَأتِي بِحلٍّ لِهَذه اَلبلِية فَكَان جَوَابهَا أنَّ حَلّهَا فِي قَطْع مددهَا. وَغرِق أَكثَر فِي التَّفْكير إِذ كان عليْه حُسْن التَّصَرُّف والتَّدْبير، خَاصَّة مع وُشُوك السَّحَرة على الاسْتسْلام بعْدمَا أَنهَكت قوَاهم بِالتَّمام؛ فمَا كان مِنْه إِلَّا أن أَقدَم على رَمْي المرْآة لِينْعَكس النُّور المنْبثق مِن الميزان مِمَّا أَحدَث اِنْفجارًا مُدَويا قَلب المكَان..

لَحظَة اِختِيار

إنَّه يَوْم عُرْس الأميرة بَدْر الزَّمَان..

لَقد اِنجلَى الصُّبْح وزالتْ الأحْزان، وَتَحرّرَت المملكتان مِن لَعنَة الميزان، فقد كان الانْفجار الذِي حدث تصْحيحًا لِكلِّ خلل كان، وفقَد كُلِّ السَّحَرة قُدراتهم وأوَّلَهم جَعفَر الذِي صار عجوزًا هرمًا يَخدِم فِي حَدِيقَة السُّلْطان. بيْنمَا الميزان لَا أحد يَعلَم مكانه الآن وقد كَلَّف بِحراسته مَارِد المصْباح بعْدمَا حَمَاه بِنفْسه أَثنَاء الانْفجار لِإنْقَاذ كُلِّ شَيْء مِن الدَّمَار..

وهَا هُو القصْر يَزْدان لِلْحاضرين والفرْحة تَكَاد تَغمُر بِعبقِهَا العالميْنِ، وأوَّلهم السِّنْدباد وَعَلاء الدِّين. فَقَال هذَا اَلأخِير مُخاطِبًا صاحبه: لَا شَيْء يُسْعدني أَكثَر مِن رُؤيَة يَاسمِين سَعِيدَة بِهَذا الشَّكْل.

قال السِّنْدباد: نسيتُ أن أَسأَلك.. يَوْم خَرجَت يَاسمِين مِن كَوْن الطُّير الذِي حَبسها فِيه جَعفَر.. كَيْف عَرفَت أَنَّهَا لَم تَكُن هِي؟ مِمَّا أَدَّى لِاكْتشافنَا أَنَّ عَقلُها كان مَحبُوسا فِي جِسْم العُصْفُورة!

فَقَال: الإنْسان يَعرِف مِن يُحبُّه بِروحه قَبْل صُورَتَه، لِهَذا كَانَت الصُّورة حقًّا صُورَة يَاسمِين لَكِن الرُّوح لَيسَت هِي الرُّوح.. وَمِن تَوفِيق السَّمَاء أَننَا قُمنَا بِكَسر ذاك التِّمْثال مِمَّا أَبطَل مَفعُول السِّحْر،

مـع ذَلِـك رَدَّة فِعْلِـي تِلْـك لَـم تَكُـن أَكثَـر غَرابَـة مِـن مُجازفتـك بِرَمـي المـرآة علـى مَسَـار الطَّاقـة..

وَتَبسَّـم السِّـنْدباد قائـلا: يُصَـادِف كُلُّ إِنسَـان لَحَظـات أو لَحظَـة.. لَحظَـة اِختِيـار إِمَّـا يَقلِـب بِهَـا الموازيـن بِقـراره وَإِمَّـا يعدلهَـا، وَأَنَـا يَـا صَديقِـي كان لَـديَّ خِيـارَان إِمَّـا تَـرْك الأمْـر حَتَّـى يُفْلِـت مِـن أَيدِينا وَإِمَّـا المجازفة بِـكلِّ شَـيْء لِإِنْقَـاذ كُلِّ شَـيْء..

أَثنَـاء ذَلِـك جَـاءَت أُمُّ السِّـنْدباد فَرحَـة مُستبَشـرَة، تـزفّ لِابْنِهَـا خبـر قـدوم عَروسِـه الأميـرة..

انتهت

يُقَال أَنَّ كُلَّ إِنسَان لَه مِيزَان..

حَتَّى أَنْت؛ لَا تَنسَ تفْعيلـــــه..